العلاقات السياسية بين إيالة الجزائر العثمانية وإنجلترا
قراءة من خلال الكتابات الفرنسية في المجلة الإفريقية

محمد الأمين بوحلوفة / أ.د. بوركبة محمد –جامعة أحمد بن بلة وهران 1

Abstract :

Algerian-English relations in the Ottoman period
Reading through the French writings in the African Journal

The history of the international relations of Algeria during the Ottoman period is stillworthy of research and re-writingfrom the point of view of the relations between the countries. Perhaps the Algerian-English relations are alsosubjectsthatwere not addressed by the researchers except in superficial and partial ways, and throughthis paper I wanted to talk about The evolution of the stages of the relationshipbetween the two countries and whatfactorswerecontrolling the balance of peace and war, and thisstudyis a re-reading of a group of French research have certain backgrounds have been able to identifysome, and thissubjectisdiscussed in a doctoral thesis willbe in the hands of researchers and students in The future.

مقدمة:

تعتبر العلاقات الخارجية بين الدول في البحر المتوسط خلال فترة العصر الحديث ذات بعد مهم مهد لقيام دبلوماسية جزائرية عثمانية صنعت لنفسها فارقا كبيرا في التعاملات السياسية والتي تتصف معظمها في تنصيب السلم والصلح عن طريق معاهدات وابرام اتفاقيات تصب في صالح الطرفين المتنازعين. يمكن اعتبار سنة 1617 م بداية انطلاق الدبلوماسية الجزائرية، فأول نص وصلنا من هذه الفترة هو عبارة عن معاهدة بين الجزائر مملكة الأراضي المنخفضة (هولندا)* ،وتبعتها فرنسا سنة 1619م لكن هذا لا يمنع طرحا بوجود علاقات او ابرام صلح عن طريق معاهدة او اتفاقية قبل ذلك التاريخ ولم يصلنا نصه.

إن العلاقات التي بنتها إيالة الجزائر العثمانية مع بعض الممالك الأوربية كإنجلترا كانت تشكل أهمية بالنسبة للإيالة لأنه سمحت لها بأن يكون لها الحرية في تعاملاتها الخارجية رغم التبعية للسلطة العثمانية ، و هذه العلاقات المختلفة تظهر مدى الأهمية البالغة للإيالة في فترة من الفترات خاصة على المستوى الإقليمي ، فمملكة انجلترا رغم بعدها الجغرافي إلا أن الإيالة استطاعت ان تبني علاقات سياسية معها و تبرهن على الدبلوماسية التي تميزت .اذا كانت الفترة الكولونيالية مظلمة من حيث الجرائم الإنسانية التي ارتكبتها فرنسا فإن الجانب العلمي المرتبط بالمستعمر عرف نشاطا كبيرا ركز جلّ اهتمامه بالتاريخ و الانسان و المجتمع و هذا لتحقيق مصلحة استعمارية و لعل الدوريات العلمية أخذت نصيبها من هذا ، فالمجلة الافريقية باعتبارها الناطق باسم الجمعية التاريخية الجزائرية اهتمت كذلك بتاريخ العلاقات بين ايالة الجزائر و مملكة إنجلترا و من خلال هذا تتضح لنا الإشكالية التالية : كيف تميزت الكتابات الفرنسية حول العلاقات السياسية بين ايالة الجزائر و إنجلترا؟ لماذا ركزت مختلف الدراسات في المجلة الافريقية على العلاقة بين إنجلترا وايالة الجزائر؟ ألا نعتبر هاته الدراسات بمثابة اعتراف ضمني لوجود كيان سياسي مستقل يبرم المعاهدات والاتفاقيات ضمن مفهوم الدولة؟ وفي المقابل لماذا استعملت تلك الدراسات لفظ " مدينة الجزائر " للتعبير عن دولة الجزائر؟ كل هذا سنحاول التطرق له وفق المنهجية التالية:

أولا: دبلوماسية إيالة الجزائر في غرب البحر المتوسط –قراءة في الطبيعة والخصائص-.

ثانيا: اهم الدراسات الفرنسية حول العلاقات الجزائرية الإنجليزية في المجلة الافريقية .

ثالثا: الرؤية الكولونيالية لفكرة الدولة ما قبل الاحتلال .

-دبلوماسية ايالة الجزائر في غرب البحر المتوسط *قراءة في الطبيعة والخصائص*

1-طبيعة دبلوماسية الإيالة: إذا كانت الدبلوماسية هي تلك العلاقة التي تجري بين الدول عن طريق التفاوض والتمثيل من أجل مصالحها[1] فإن إقليم البحر المتوسط عرف دبلوماسية حيوية خلال فترة العصر الحديث، اذ ركزت مختلف القوى البحرية[2] اهتمامها به، فالتجارة كانت عصب الحركة داخل هذا البحر إضافة الى بروز النزعة المسيطرة على طرقه مما تولدّ عنه ظهور ممارسة القرصنة[3]التي سيكون لها تأثير في موازين سير العلاقات الدولية في المتوسط خاصة بعد ميلاد جبهة إسلامية[4] في الشمال الافريقي أعطت لذلك المفهوم صبغة إسلامية عرف بالجهاد البحري.

بعد ظهور إيالة الجزائر كقوة حربية في البحر المتوسط تكونت لها تلك الشخصية المعنوية التي يحق لها توقيع الاتفاقيات و إبرام المعاهدات[5]تحت مفهوم الدولةأو الكيان السياسي الذي يخولها ذلك، إذ نجد أن الدبلوماسية الجزائرية بدأت تعرف كيف تلعب داخل تلك المياه لإفتكاك

حق أو تسيير مصالح تجارية وفق سياسية تخدم بالدرجة الأولى مصالحها، إذ فرضت الظروف التي عرفتها منطقة البحر المتوسط ربط علاقات في إطار الصراع الإسلامي المسيحي، أو حتى في إطار الصراع المسيحي مسيحي[6] .إن العلاقات التي بناها الباب العالي مع الدول الأوربية عن طريق الامتيازات التجارية جعلت من إيالة الجزائر تابعة له لكن مع بداية القرن 16م لم تلتزم إيالة الجزائر بتلك الاتفاقيات وبدأت توقعها باسمها ما أعطاها السيادة ككيان سياسي مستقل [7]يحق له إبرام الاتفاقيات والمعاهدات.

ان الحديث عن طبيعة الدبلوماسية الجزائرية لا يخرجها من إطارها الإسلامي ، إذ عرف التاريخ الإسلامي نموذجا أوليا عن دبلوماسية النبي محمد "ﷺ " يوم صلح الحديبية* ، كان نموذجا راقيا جعل من علي بن أبي طالب ﷺ لا يستسيغ فكرة محو لفظ "رسول الله" و تعويضها بـ"ابن عبد الله " ،فمن هذا تكونت تلك الدبلوماسية التي لها خصائص مشرقية عن نظيرتها الغربية ،فإيالة الجزائر رغم قوتها إلا أنها لم تحاول أبدا أن تصنع في مختلف معاهداتها التي عقدتها صورة المتفوق و اكتفت بالمعاملة بالمثل .إن المتمعن في سير الدبلوماسية الجزائرية يجدها تتميز بميزات كانت في النهاية لها عاقبة سوء و أخرجتها من عباءة تلك القوة التي طالما عرفت كيف تتفاوض على مصالحها و هنا نقصد الخطأ الدبلوماسي الذي ارتكبه الداي حسين مع قنصل فرنسا يوم أشار عليه بمروحته [8]، فحتى وإن كانت الإيالة منهارة في ذلك التاريخ إلا أن العرف الدبلوماسي لا يخوله فعل ذلك ، كما نجد حادثة مشابهة و خطيرة حدثت خلال القرن 17م مع قنصل فرنسا "فاليار" الذي سجنه الداي مع إحدى طواقم سفينة فرنسية و التهديد بالقتل الذي صدر من الداي للأميرال الإنجليزي "كابيل "[9] (وان كانت هذه الرواية مدونة في مذكرات القناصل) فكل هذا يظهر لنا بعض التجاوزات التي طبعت المعاملات الدبلوماسية للإيالة مع الممثلين الدبلوماسيين للدول في ذلك الوقت .

لم تخرج الدبلوماسية الجزائرية خلال الفترة العثمانية عن طابعها الإسلامي كما أشرنا، وتقيدت به حتى في طريقة كتابة نصوص المعاهدات والشيء نفسه نلمسه لما نراجع معاهدات الأمير عبد القادر مع الفرنسيين فنجد أن الطابع المشرقي يتميز باستعمال ألفاظ التبجيل والاحترام التي تعطي انطباعا للقارئ الغير مختص أن الشخصية المعنوية التي أبرمت الاتفاق تعطي للطرف الآخر أكثر مما يستحقه، لكن ذلك كانت عادة المشرقي، حتى في بعض الأحيان لما تترجم تلك النصوص إلى لغة الطرف الآخر ينظر بنظرة استعلاء.

2-خصائص الدبلوماسية الجزائرية:

لقد كانت السياسة الخارجية الجزائرية مرنة و تصورية و ذكية سريعة، واتسمت بالاقتناع المطلق بالتفوق البحري و الاعتقاد بدوام الدولة كعامل حيوي في سياسة أمة الإسلام، مع الفهم العميق لمخاوف و مطامح و مناهضات أوربا المسيحية[10] .إن من بين خصائص الدبلوماسية الجزائرية:

- التمييز بين مصالح الدول و مصالح الخواص ، إذ أوضحت الجزائر بداية من القرن 17 على أن مصالح الدولة يجب أن توكل الى أفراد ليس لهم علاقة بالنشاط التجاري لتأدية مهامهم كموظفين و أعوان الدولة[11] ، لهذا لم تعد الجزائر الامتياز الذي منحته للتاجر الإنجليزي توماس سينغلتون Tomas singleton و المتمثل في جواز سفر يحق له من خلاله الدخول إلى ميناء مدينة الجزائر و حرية التجارة[12] في أقاليم الإيالة أنه نوع من التمثيل الدبلوماسي أو العلاقة بينها و بين إنجلترا و التي ترسمت بعد اتفاقية 1620 و تعيين قنصل إنجلترا الكابتن " جون روبارمنسال "[13] في الإيالة .

-الوفاء والتقيد والالتزام بالعهد، حيث كان هذا أحد خصائص الدبلوماسية الجزائرية، فحتى وإن كانت هناك صراعات داخلية ترفض فكرة إبرام معاهدة أو إتفاق مع دولة وجرى ذلك لم تسعى تلك الجبهة الداخلية لإلغائه أو تعطيل بنوده، ولعل خير مثال ما فعله الانجليز عندما قدموا 20ألف بيزو للميليشيات[14] قصد إلغاء معاهدة سبتمبر1689[15]م بين فرنسا والداي إلا أنها طبقت وأصبحت سارية المفعول بالرغم من هروب الداي ميزومورتو(1683-1686م) و استخلافه بالداي شعبان(1689-1695م) .

-التعقل والحكمة والسعي للصلح مع الآخر. فبعد أن غزا السلطان المغربي مولاي إسماعيل (1645 - 1727م) الحدود الغربية للإيالة في 4 جويلية 1692 م سيرّ له الداي شعبان جيش من 13 ألف جندي و قد وصل حتى فاس ، حينها تجهز السلطان المغربي للداي شعبان لقتاله فخرج المرابطون (الصلحاءُ) من كلا الجانبين و أقنعوا الداي شعبان بالرجوع عن فكرة القتال فقبل الصلْح[16] ، فكانت هذه خاصية تميزت بها الدبلوماسية حتى اليوم .

- رغم النتائج السيئة التي ترتبت عن مبدأ عدم الخضوع إلا أنه بقي السمة الغالبة على الدبلوماسية الجزائرية ، إذ على مرّ السنين دأبت الإيالة على عدم الخضوع للقوة العسكرية و لعل خير مثال ما جرى بين الضابط البحري الإنجليزي و الداي يوم هدده بحرقه و حرق مدينته [17]، لكن الداي لم يأبه له و أسرّ على شروطه ، إضافة الى عدم الخضوع لفرنسا بعد حادثة المروحة ، و لا يبدو أنها تأسفت لاتخاذ مثل هكذا مواقف كما عبر عنها الباحث جمال قنان .

-أيضا ما ميز الدبلوماسية الجزائرية هو عدم استغلال الظروف لخدمة مصالحها، حيث أن أكثر ما سعت إليه الإيالة في اتفاقياتها إقرار المعاملة بالمثل، إضافة إلى الركود و التقوقع و عدم الحركية ولعل خير مثال الجهل بما يجري في المجتمعات الأوربية من تحول خلال القرن 18 م سواء الفكري أو الصناعي و حتى السياسي فنجد أن الثورة الفرنسية** و ما أحدثته من نقاش في أوربا و بين قناصل الدول في مدينة الجزائر إلا أن الداي و عامة الناس كانوا غير مكترثين له[18]؟ !.

-الحضور القوي لليهود في تسيير الدبلوماسية الخارجية خاصة خلال القرن 19 م وهذا بسبب نفوذهم الاقتصادي، فالصراع بين الإيالة والدول الأوربية وإشكالية رسو السفن وإبحارها كلها مشاكل جعلت من التجارة الخارجية تعهدها الجزائر لليهود[19] مما وسع نفوذهم وسيطرتهم على مسار الدبلوماسية.

على الرغم من هذا استطاعت الدبلوماسية أن تجيد فن الحوار مع الآخر و تميل الكفة لصالحها في بعض الظروف التي كانت مصيرية في تاريخ العلاقات الدولية في البحر المتوسط .

- أهم الدراسات الفرنسية حول العلاقات الجزائرية الإنجليزية في المجلة الافريقية:

بعد احتلال الجزائر سعت الإدارة الاستعمارية في كتابة جزء من التاريخ العثماني الجزائري، ولعل المجلة الإفريقية[20] أحد المنابر العلمية التي اتخذها الاحتلال لتسويق خطاباته وفق منهج علمي يخدم مصلحته، و بالعودة إلى تاريخ العلاقات السياسية بين إيالة الجزائر و مملكة إنجلترا لا بد من القول أن هاته المملكة تمكنت بفضل دبلوماسيتها و منافستها لإسبانيا و فرنسا أن تجد مكانا لها داخل البحر المتوسط و هذا لتسيير تجارتها و الحد من تنامي القرصنة ضد سفنها و يمكن أن نرجع تاريخ دخولها للمتوسط الى سنة 1513 م اذ يذكر HAKLYT أن مختلف المراكب كانت في سنة 1511 م تحمل من لندن و بريستول وساوثمبتون المنسوجات إلى كريت و قبرص و سوريا ،لتأخذ في المقابل الحرير و البهارات و السجاد و الموهير. بدأت العلاقات العثمانية الإنجليزية تأخذ طريقها نحو الأحسن إذ تم تعيين أول سفير إنجليزي، وهو" وليام هيربورن"، في الدولة العثمانية في نوفمبر 1580 [21]م، ولتساهم إنجلترا بإنعاش التجارة في البحار عن طريق شركاتها التجارية ومنها شركة المشرق[22] التي كانت رابطة بين العالم الإسلامي و إنجلترا. إلى غاية نهاية القرن 16 لم تترسم العلاقات الإنجليزية الجزائرية ما عدا بعض الامتيازات التي حضي بها بعض التجار كحرية التجارة داخل حدود الايالة وممثلي الشركات التجارية مثل الشركة الشرقية أو الشركة البربرية المؤسسة**.

بالعودة للمجلة الإفريقية وفي عدد 130 الصادر سنة 1878 م بعنوان" جزء من تاريخ علاقات بريطانيا العظمى و الدول البربرية قبل الغزو الفرنسي"[23] Episode de Histoire des

relations de Grande-Bretagne avec les états barbaresques لبلايفاير R-L. Playfair، يتحدث هذا الكولونيل عن العلاقات الجزائرية الإنجليزية، إذ خصص لها 6 مقالات متتابعة في المجلة الافريقية ما بين 1878 و 1880م .

من خلال عنوان الدراسة يظهر أن هذا الباحث عبر على إيالات شمال إفريقيا بالدول البربرية ولعل ما كان يقصده هو مدلول البربرية الخارجة عن البربر كجنس والصفة التي تدل على التوحش في قاموس الحضارة الغربية، إضافة الى الصبغة العنصرية للتدليل على أحقية البربر على العرب في أرض شمال افريقيا. تعتبر هاته الدراسة من بين أولى الدراسات التي تطرقت إلى تاريخ العلاقات بين الإيالات العثمانية و إنجلترا عموما و إيالة الجزائر و مملكة إنجلترا خصوصا ، إذ تتبعها كرونولوجيا من 1620 م إلى غاية 1830 م و قسمها عبر مراحل ، فالدراسة الأولى بدأها بعنوان فرعي "رحلة السير روبارمانسال 1620م "، تطرق إلى كيف بقيت إنجلترا خارج المتوسط بعد إنتهاء الحروب الصليبية و لم تدخله إلا بعد حملة جاك الأول(1603-1625م) و التي لم تأتي بأي نتيجة ، و يذكر الباحث أن هدف الحملة كان محاولة الانتقام من قراصنة الجزائر الذين أضروا بتجارة إنجلترا في المتوسط[24].

المعروف على أوربا محاولتها بشتى الطرق القضاء على إيالة الجزائر عن طريق شن الحملات الحربية، و إنجلترا كانت ضمن تلك الدول ففي هذا العدد يذكر بلايفاير حملة بقيادة الفارس روبارمنسال نائب أميرال البحرية الإنجليزية ، مكونة من 18 سفينة تحمل 250 رجل و 40 مدفع*** و أحداثها مدونة ضمن تقرير حمل عنوان" Algiers voyage" موجود بالمتحف البريطاني وقد دونه أحد شاهدي عيان (لقد سرد بلايفاير هاته الأحداث معتمدا على قراءة النص الأصلي للتقرير الذي ذكره) ، يذكر في 6 ديسمبر و بعد مناقشة طويلة مع الأتراك (الداي و هو يقصد سيدي سارف) ، قدم منسال مقترحاته و الذي كان يحمل رسائل ملكية للداي ، و أصر الأخير تعيين قنصل لدى الايالة الأمر الذي رآه منسال مجرد خدعة من طرف الداي لكن في الأخير تنحى قائد الحملة روبارمنسال و أصبح قنصل إنجلترا [25].

إن من بين أهم الملاحظات التي لم تأتي في التقرير التصادم بين الجزائريين و الانجليز فهو لم يذكر أو يشير لذلك أبدا و الظاهر أن الحملة كانت تأديبية للإيالة أو لأن الحرب لم تنشب بين الطرفين و كان الحوار لغة سائدة(يذكر توفيق المدني أن السفن الإنجليزية قصفت مدينة الجزائر ؟ و مما جاء في التقرير أن الداي لم يستقبل القنصل بدبلوماسية إضافة الى إطلاقه لـ40 أسير الذين كانوا في مدينة الجزائر .لقد حمل هذا التقرير أحداث مهمة لا يمكن أن نجدها في أي مصدر آخر باعتباره مادة أرشيفية يعتمد عليها الباحث في كتابة تاريخ تلك الفترة . "وجّه منسال رسالة شديدة

اللهجة للداي يوم 7 ديسمبر ، بعدها يذكر أن الإنجليز قبل مغادرتهم الميناء حاولوا حرق سفن الإيالة"[26] ؟ ، إضافة إلى حادث غريب وهو أن روبارمنسال لم يطالب الداي بإطلاق سفينتان حجزهما القراصنة دخلتا لميناء مدينة الجزائر عندما كان الانجليز هناك بل تعدى الأمر عندما لم يجد بلايفاير في مذكرات منسال هذا الحادث و وجده مدوّن ضمن التقرير فقط ، وهو ما يطرح علامة استفهام و سؤال لماذا أغفل منسال هذا في مذكراته؟ ولعل ما يمكن فهمه أن المفاوضات كانت قد توجت باتفاقية بين الداي والانجليز (نص هذه الاتفاقية يحتمل أن يكون ضمن الأرشيف الإنجليزي لأن معظم الباحثين يبتدئون بتأريخ للعلاقة الرسمية بين إنجلترا وإيالة الجزائر من معاهدة 1662م) وكانت تلك السفينتان لم تدخلا بعد للمدينة وبعد دخولهما لم يجد روبارمنسال بدا من غض الطرف عنهما لتسير الاتفاقية على أحسن ما يرام.

إن ما يمكن الوقوف عنده حول هاته الأحداث هو رغبة إنجلترا تحذير الإيالة أنها قادرة على الرد على قراصنة الجزائر بالقوة، والأمر الثاني هو الدبلوماسية التي تميز بها الداي عندما أصر على روبارمنسال أن يكون قنصلا لإنجلترا وهذا لاستمالته و هو ما عبّر عنه منسال أن الداي يريد خداعنا ، الأمر الثالث وهو ما طبيعة الرسائل التي كان روبارمنسال يحملها من ملك إنجلترا إلى داي الجزائر؟ ربما على الأرجح تكون رسائل تهديدية مادامت حُمِلتْ مع 18 سفينة معها45 مدفع!، الأمر الرابع هو رغبة الإنجليز بعقد السلام والصلح بشتى الطرق وهو الأمر الذي رأيناه في عدم ذكر منسال لتلك السفينتان المحجوزتان في مذكراته أو احتمالية أنّ الإنجليز طالبوا بتلك السفن وبعدما رفض الداي طلبهم أرادوا الرد بحرقها . إلى غاية 1620 م بقيت العلاقات الإنجليزية الجزائرية مجهولة على المستوى السياسي، إلا بعد تلك الحملة التي توجت بتعيين قنصل وعقد اتفاقية في تلك الفترة.

لقد عبر الباحث بلايفاير عن تلك الاتفاقية أنها لاغية بسبب نزعة الأتراك في نقض العهود مباشرة بعد اختفاء السفن الأوربية في الأفق؟ وهذا يظهر النظرة المعادية للرجل الشرقي بصفة عامة والعثماني الجزائري بصفة خاصة، ومحاولة نشر صورة مغالطة للواقع حيث أسلفنا الذكر أن ميزات الدبلوماسية الوفاء بالعهد كما أنها خصل متجذرة في المسلم، اللهم في حالات نادرة.

بعد 1641 م، لم تعرف العلاقات الإنجليزية الجزائرية مستوى من التحسن إذا قارناه بالمستوى الرفيع الذي بلغته مع فرنسا، فالأسرى[27] الإنجليز كانوا سببا في تحريك التوتر بين الجانبين، إذ يذكر بلايفاير حادثة مدونة ضمن وثيقة محفوظة في المتحف البريطاني موجهة من توماس ويت و ريتشارد روبنسون إلى أصدقائهم في إنجلترا يصف فيها معاناته في العبودية و قد طالبهم بتحريره مقابل فدية. هذه الوثيقة نشرها البرلمان الإنجليزي في أفريل 1647م و قد أثرت في الشعب الإنجليزي مما دفع الحكومة لتجهيز حملة لفك الأسرى[28]، بالرغم أن البرلمان كان قد أقرّ في

ماي 1642 "ضريبة تقدر بـ1 %على التجار لافتداء الأسرى و خفضت الى ربع بالمائة إلا أنها لم تطبق بسبب الرؤية التي كانت لدى الإستوارتيين من ملوك انجلترا أن أمر تحرير الأسرى الانجليز سيكون تجارة رابحة بالنسبة للقراصنة الأتراك" [29] .

جهز البرلمان سفينة " الشرف" the honor بقيادة إدموند كاسون و أعطيت له صلاحيات كاملة من البرلمان ، لكن الحملة تعرضت لعاصفة رمتها على شاطئ جبل طارق و احترقت السفن . بعد عام جهز البرلمان بغرفتيه أيضا حملة بقيادة نفس القائد كاسون سفينة "the Charles " و قد وصلت إلى مدينة الجزائر، و بعد مفاوضات شاقة وطويلة (كما عبر عنها بلايفاير) توصلوا إلى إمضاء اتفاقية [30]، و مما نصت عليه : -جرد كل الأسرى الإنجليز في مدينة الجزائر و فديتهم بالسعر الأول الذي بيعوا به . مما يُذكر أيضا أن عدد الأسرى كان 244 أسير بينهم أطفال ونساء ورجال، وقد أرسلت الحكومة الإنجليزية سفينتان لنقل كل الأسرى وقد بقي كارسون في مدينة الجزائر لتسوية ملف الأسرى[31].

تطرق بلايفاير الى ملف الأسرى بشكل مسهب معتمدا على نص وثيقتين أصليتين وجدهما مع تقرير الحملة (حملة تحرير الأسرى)، فالأولى مؤرخة في 29 أكتوبر 1646م ومما جاء فيها أن إنجلترا تسعى إلى سلام دائم مع مدينة الجزائر وتريد حل كل المواضيع العالقة بخصوص الأسرى بدون شروط، هذا الأمر دفع الباشا (يقصد الباشا محمد) بأن يقبل فكرة السلام الدائم لكن مسألة الأسرى لن تحل إلا عن طريق دفع الفدية. من خلال نص الوثيقة يتبين أن كاسون لم يتقبل فكرة الباشا الشيء الذي دفعه لترجمة رسائل البرلمان وقراءتها أمام حاشية الباشا (يقصد الديوان) لعلها تأتي بنتيجة. بعدها تنفرج الأزمة ويصل الطرفان لعقد اتفاقية سلم ويقيم الباشا حفلة على شرف القائد الإنجليزي كاسون. ومما جاء في الوثيقة أيضا أن الأندلسيين قاموا بالتحايل في الثمن الأول للأسرى الذي اشتروه به، وقد اشتكى القائد الإنجليزي للباشا الذي أنصفه وأقسم أن يدفع الثمن الأول. كما تحمل الوثيقة معلومات أخرى مثل عدد الإنجليز داخل الايالة الذي قدر بـ 650 منهم أعوان للتركي العظيم (هكذا عبر عنه كاسون) وأن القائد الإنجليزي منح للباشا 10 ألاف دولار! [32].

أما الوثيقة الثانية فهي مؤرخة في 26 نوفمبر 1646 ذكر فيها كاسون أنه بعد تسديد مستحقات الأسرى رد عليه الباشا أننا نحن الجزائريين عند عهودنا و سبق لنا أن تعاهدنا مع فرنسا و إسبانيا[33] قبلكم، بعدها يراسل كارسون البرلمان أنه عليهم نقل الأسرى في الصيف بسبب لباسهم الرث و سيكون ذلك في مدة عامين، أما بخصوص أعمال تونس فإنه سوف يرسل الرسائل للقنصل و المفاوضين في تلك المدينة[34] .

إلى هنا يطلعنا بلايفاير على أحداث مهمة جدا يمكن القول أنها لا توجد إلا في دراسته هاته والتي اعتمد فيها على الوثائق الأرشيفية، ومما يجب الإشارة له أن سير العلاقات بين إنجلترا وإيالة الجزائر تحكمت فيه بعض المعطيات أهمها مسألة الأسرى التي كانت طاغية في تلك الفترة في الجهة الغربية للمتوسط وجعلت من عقد وابرام الاتفاقيات مسألة مُلحّة، أيضا يظهر لنا مدى تمسك السلطة السياسية بمسألة الفدية التي كانت تمثل أهمية بالنسبة لمداخيل الإيالة فرفض الباشا لفكرة إطلاق الأسرى دون فدية لدليل على مدى أهمية تلك الأموال ، الأمر الآخر الذي نلحظه هو معرفة الإنجليز بخبايا النظام الحاكم في مدينة الجزائر في تلك الفترة ،إذ أن القائد كاسون عرف أن الباشا كانت له صلاحيات كبيرة لكن لا يمكن أن يفعل شيء إذا لم يأخذ الموافقة من حاشتيه و هنا يقصد مجلس الديوان فسارع لترجمة رسائل البرلمان و قراءتها أمام المجلس ليأخذ موافقة على آرائه ، أيضا الإنصاف الذي تحلى به الباشا عندما عرض على الإنجليز دفع فدية الأسرى بالثمن الأول الذي بيعوا به فهذا دليل على حسن نية و رغبة حقيقية في إنهاء هذا الملف مما يدعم هذا الرأي وجود أسرى إنجليز يخدمون الباشا أو التركي العظيم كما عبر عنه كاسون.

كذلك مسألة أخرى وهي عدد الإنجليز الأسرى الذي فاق 650 أسير الأمر الذي يحيلنا إلى مدى تعرض سفن الانجليز للقرصنة في المتوسط، وفي هذا الصدد ذكر الباحث بلقاسم قرباش أنه الى غاية 1640 م كان بمدينة الجزائر ما يقارب ثلاثة ألاف أسير[35] وهذا الرقم كبير جدا يحيلنا إلى ازدهار هذا النشاط في المتوسط.

من 1647 إلى غاية 1653 لم تعرف العلاقات الجزائرية الإنجليزية أي جديد على مستوى التحسن بل عرفت تصعيدا عسكريا تمثل في حملة 1653 بقيادة الأميرال روبار بلاك(الغرض من الحملة تأديب قراصنة شمال افريقيا) - تاريخ الحملة مختلف فيها إذ أورد بلايفاير أنها في سنة 1653 م و أوردت الباحثة توللي أنها في سنة 1678م لكن حسب الوثائق الأرشيفية فقد كانت سنة 1658م كما ذكرها عبد الله خليفة في كتابه العلاقات الإنجليزية الطرابلسية -، ذكر بأن الحملة كانت تتكون من 250 بحار و60 مدفعا وكانت سفينة "سان جورج "مركز قيادة هاته الحملة و هدف الحملة الانتقام من قراصة الجزائر الذين سببوا إهانة للسفن الإنجليزية كما عبر عنها بلايفاير ! . في 8 فيفري 1654 دخلت الحملة لميناء مدينة تونس و قد حطمت ما وجدته في طريقها و أحدثت خرابا كبيرا و أرغمت داي تونس على توقيع السلم ، ثم توجهت إلى طرابلس أين اعتدت على المدينة و سلبت و نهبت بدون مقاومة كبيرة ، بعدها عادت و توجهت إلى مدينة الجزائر حيث دخلته في شهر ماي و لم تجد أدنى مقاومة ؟ وقد طلب الإنجليز إطلاق سراح الأسرى[36] و قد قبل الباشا ذلك لكن شريطة دفع الفدية.

إن أحداث هاته الحملة معروفة لكن عندما نتوقف على أهم ما جرى فيها نجد الكثير من الاستفهامات، أولها لماذا توجه روبار بلاك الى تونس ولم يتوجه الى الجزائر رغم أنها هي الأولى في طريقه البحري من الناحية الجغرافية؟ ثانيا لماذا لم يجد أي مقاومة من طرف الجزائريين رغم أن الإيالة كانت تعيش مرحلة القوة؟ ثالثا وهو لما لم يسعى روبار بلاك لعقد معاهدة سلم وصلح مع الجزائر للحد من القرصنة على السفن الإنجليزية؟ كل هذا يطرح نفسه بشدة. لكن يمكن استنتاج بعض الحجج المقنعة لهاته الأحداث منها أن الانجليز كانوا يعرفون أن الدخول في معركة مع أسطول إيالة الجزائر أولا سيسبب لهم متاعب أو احتمالية الخسارة لهذا توجهوا لتونس أولا ثم لطرابلس إضافة إلى الحرب المعنوية التي مارسها الانجليز ، اذ سعوا الى تحطيم سفن تونس و طرابلس-لقد أغفل بلايفاير الصدام بين طرابلس و الانجليز اذ يذكر عبد الخليفة خباط في كتابه العلاقات الإنجليزية الطرابلسية أن طرابلس أسرت سفينة السان جورج بقيادة وليام وايت و قد تدخل سفير إنجلترا في القسطنطينية توماس بندش لحل الأزمة إلا انه فشل ما استدعى توقيع اتفاقية بين طرابلس و إنجلترا - لبث الذعر و الخوف في نفوس الجزائريين و قد نجحوا ، وهو الأمر الذي جعل منهم يدخلون مدينة الجزائر بدون أي مقاومة تذكر بل عبر الباشا عن نيته في السلم بالمنحة[37] التي قدمها لمبعوث الأميرال بلاك ، أما أمر عدم توقيع معاهدة سلم و صلح بين الإنجليز و الجزائر فالمؤكد أنه يرجع الى نية الانجليز المسبقة في هاته الحملة التي كان الهدف منها إبراز قوة الأسطول الإنجليزي في المتوسط و هذا بقول بلايفاير" إعطاءهم لمحة عن القوة الإنجليزية"[38] و اليأس الذي أصاب الانجليز نتيجة عدم سريان آخر اتفاقية بينهم و بين الجزائر بشكل جيد و طويل، كل هذا جعل منهم يرفضون فكرة السلم و الصلح .

منذ 1661م بدأت العلاقات الجزائرية الإنجليزية تأخذ طابعا دوريا ، حيث أُرْسل الكونت سندويش sandwich الى الجزائر لإجراء مفاوضات لكنها لم تأتي باي نتيجة[39] ، لكن بعد عام توجت علاقة البلدين بمعاهدة سلم في 23 أفريل 1662 ، وقعها السير جون لاوسن ، وما جاء في الاتفاقية " أنه ابتداء من اليوم سيكون هناك سلم حقيقي و دائم بين جلالته المقدس ملك بريطانيا العظمى ،و الباشا و الديوان و حكام الجزائر و المقاطعات التابعة لها ،و أنه لا تتعرض السفن و الرعايا ،و أهالي كلا الطرفين و لايهددون بأي إهانة و لا حيف لبعضهما البعض بل يعامل أحدهما الآخر بكل احترام و صداقة ممكنة..."[40] .

تعتبر هذه الخطوة عاملا قويا للاستقرار و السلم إذ حفلت هاته المعاهدة على عدة بنود تنظم سير التجارة الإنجليزية في المتوسط و الرعايا و الأسرى و اعتبرتهم فئة لا يجوز بيعها بعد افتدائها ، ولعل الملاحظ لبنود هذه المعاهدة يجد أنها جاءت تخدم الطرف الإنجليزي و مصالحه و لا

تحتوي على أي بند يخدم الجزائريين ، الأمر الذي جعل من إيالة الجزائر لا تتوقف عن مصادرة السفن الإنجليزية ، يذكر بلايفاير أنه في سنة 1664م أعلن السير جون لاوسن الحرب على إيالة الجزائر بسبب غنم عدة سفن انجليزية و رفض الداي منح حمولتها للإنجليز و سجن القنصل الإنجليزي [41]، وما يظهر أن من نتائج هاته الخطوة إعادة توقيع معاهدة سلم بتاريخ 30 أوت 1664م ، لكن هناك نص اتفاقية بين أيدينا وهو معاهدة سلم موقعة بتاريخ 3 ماي 1664م [42]، و الظاهر أن هذه الاتفاقية جاءت قبل الحرب التي أعلنها جون لاوسن .

يذكر بلايفاير أنه في سنة 1669م تجددت الحرب بين إنجلترا والجزائر، وقد كثرت الشكاوى من طرف السفن التجارية للحكومة الإنجليزية مما استدعى عدم الصمت على هاته الاعتداءات، الأمر الذي جعل الانجليز يدخلون في تحالف مع الهولنديين حيث أرسلوا ترسانة صغيرة من السفن لمساعدة الأسرى المسيحين وتحطيم سفن الايالة لكن فوجئ الطرف الإنجليزي بانسحاب الهولنديين[43]. بلايفاير يستعرض بشكل مسهب العلاقات الإنجليزية الجزائرية ما بعد 1670 م و يمكن أن نشير لها على النحو التالي :

-1669م الحكومة الإنجليزية ترسل الأميرال ادوارد سبراق في اسطول صغير لكنه يفشل في مهمته

-الأميرال جون هارمن يقود حملة ضد الايالة من ماي 1669 الى اوت 1671م

-الجزائريون كانوا مستعدين لعقد معاهدة صلح تخدم مصالحهم؟

-1670م السير ادوارد سبراق يدخل ميناء بجاية و يحرق كل سفن القراصنة ، والأميرال الإنجليزي يدفع الجزائريين لتوقيع معاهدة سلم [44] .

-1675 الهولنديون يحاولون شراء السلم مع الجزائريين بأموال كبيرة لكن شروطهم لم يقبلها ديوان الجزائر ، و قد سلطت إنجلترا عقوبات على هولندا بسبب فعلتها هاته . (يظهر أن إنجلترا كان لها القوة فيمعاقبة كل من يخالف سياستها في المتوسط) .

-1674 حملة بقيادة السير جون ماربروغ و السير كولد سليشوفال ضد قراصنة تونس و طرابلس و الجزائر و قد حدّت من نشاطهم في المتوسط[45] .

بعد كل هاته الأحداث تنهي الايالة وإنجلترا القرن السابع عشر بمعاهدة صلح وقعت في 5 افريل 1686 م[46] ولتفتح القرن الثامن عشر بمعاهدة صلح أيضا وقعت بتاريخ 17 اوت 1700 [47]. اذا كانت العلاقات الإنجليزية الجزائرية قد تميزت بالتشنج في معظمها ، فحالها لم يختلف كثيرا عن جارتها المغرب الأقصى ، يذكر بلايفاير مهمة الأميرال كابيل 1749م المتمثلة أساسا في حماية السفن الإنجليزية في المتوسط ، اذ دخل هذا الأميرال لمدينة تطوان اين وجد القنصل الإنجليزي لاتون[48] مسجونا مع بعض الأسرى وحرره لقاء دفع فدية ، بعدها يدخل مدينة الجزائر في 29 جوان

وقد دارت بين الداي و كابيل مفاوضات شاقة و مناوشات وصلت الى درجة تهديد الداي لكابيل بقتله وقد رد عليه الأميرال أنه لو أراد حرقه هو و حاشيته لفعل ذلك و هذا للقوة التي كانت راسية بميناء الجزائر[49] .

لقد انتشرت خلال القرن 15 و 16 م ظاهرة التزوير أو ما يعرف بتزوير جوازات سفر السفن داخل المتوسط، اذ طالما عملت بعض الدول الأوربية على هاته الحيلة لحرية التنقل داخل المتوسط خاصة عندما يكون بين ذلك البلد وإيالة الجزائر معاهدة صلح، وبلايفاير يذكر هذه الظاهرة التي أثرت بشكل كبير على العلاقات بين دول أوربا والجزائر حيث لم تسمح البحرية بمثل هذه الأعمال لأنها مخالفة للأعراف والمواثيق التي تنظم حرية الملاحة داخل المتوسط.

يذكر جيمس بروس (هو احد القناصل الانجليز في الجزائر 1762-1765 م) في مذكراته " congrégations de la mission " أن الفرنسيين كانوا يبيعون جوازات إنجليزية مزورة للنابوليين و الجنويين و الإسبان لتسهيل حرية تنقلهم في المتوسط و قد علمت السلطات الجزائرية عن طريق قنصل سويدي بالقضية ، ولعدم معرفتهم بالقراءة (يقصد اللغة الإنجليزية) كانوا يقارنون بين الأصلي و المزيف ، ثم يذكر بروس في مذكراته أنه لو لم يكن لدي علاقات جيدة مع الميليشيات و التجار والقراصنة لأحرقت و أنا حي ثم يصف النظام أنه رهيب و بشع .

لقد تسببت حادثة الغش تلك أن جعلت من الجزائريين لا يفرقون بين السفن سواء كانت انجليزية أو من جنسية مختلفة مما أضر بالتجارة الإنجليزية، رغم سعي حكومة جبل طارق الإنجليزية للإسراع بإصدار جوازات سفر أصلية للسفن الإنجليزية. كما ذكر ظاهرة الاتفاقيات التي كانت تعقد بين قباطنة السفن وحكومة مدينة الجزائر التي سببت الكثير من التوتر بين إنجلترا والجزائر، ويعلق بروس على طبيعة النظام في إيالة الجزائر قائلا" الجزائر كانت شرسة والحكومة الإنجليزية لم تفهم وكانت تجهل السياسية البربرية؟" [50]. مما جاء في مذكرات بروس أنه طلب من الملك الإنجليزي تجديد المعاهدة مع الداي وارسال جوازات سفر، كما ذكر حادثة الانقلاب الذي جرى بين القنصل و السفير الإنجليزي و كيف تدخل الداي و أرجع السفير لإنجلترا [51].

ما يمكن ملاحظته خلال سير العلاقات الإنجليزية الجزائرية أن قضية الغش أو تزوير جوازات السفر كانت سائدة في المتوسط و الفرنسيون هم من يحترفونها و كان الانجليز هم الضحايا ، إضافة ما يستشف من ما قاله بروس عن النظام في الجزائر ، أن النظام أو الدبلوماسية الخارجية بقيت مجهولة لدى الانجليز يدلل على أن النظام كان منغلقا على نفسه و سياسته لا تمشي في طريق مستقيم مع دول أوربا و على النقيض كانت سلطة الإيالة تؤثر في تعيين القناصل بدليل تدخل الداي في تعيين القنصل الإنجليزي ، كما يمكننا استنتاج رغبة الانجليز في إعادة عقد معاهدة صلح

مع الداي لحماية مصالحهم التجارية اذ راسل بروس الملك الإنجليزي يطلب منه تجديد الصلح وقدد جدد بمعاهدة 3 اوت 1765م[52] .

منذ بداية القرن 19 وقّعتْ إنجلترا مع ايالة الجزائر ثلاث معاهدات وهي معاهدة 3 سبتمبر 1800م و معاهدة 19 مارس 1801م و معاهدة نوفمبر 1813 [53]م . كانت سنة 1816 م نهاية الايالة إذ أدخلت حملة اللورد اكسموث[54] الجزائر الى نفق الانهيار ، و قد تطرق بلايفاير لهاته الحملة بشكل مسهب و خصصت المجلة مقالا لها بعنوان" هجوم البطاريات الجزائرية على اللورد اكسموث في 1816 " [55] ، attaque des batteries algériennes par lord exmouth en 1816 للباحث chabaud-Arnault وقد كانت نتائج الحلمة وخيمة جدا انتهت بإبرام صلح مذل للجزائريين و أورد بلايفاير بنوده منها: - عدم القبض على أي مسيحي للأبد

-منحي كل الأسر بكل جنسياتهم في ظرف 24 ساعة

-منحي كل الأموال التي قبضتموها فدية للأسرى لهذا العام

-إعادة الاعتبار للقنصل الموجود عندكم

-يعتذر الداي علنيا للقنصل الإنجليزي بوجود الوفد والضباط ويملي عليه ما يقول قائد سفينة رين شارلوت [56].

كانت هاته الشروط مخزية وقد قبلها الداي و أعلنت بكل صراحة عن نهاية قوة الجزائر في المتوسط لتدخل مرحلة الانهيار التدريجي الى غاية 1830 م . لم تتوقف العلاقات الجزائرية الإنجليزية عند حملة اكسموث بل استمرت ،و توجت بعقد معاهدة 26 جويلية 1824م[57] ، و استمر تعنت الداي حسين ، يذكر بلايفاير أن الداي أمر القنصل البريطاني بعدم امتطاء الفرس عندما يمر بجانب قصر الداي و لا يحق له حمل سيفه الى جانب بعض البروتوكولات التي ألزم الداي إياها القنصل .بعد 1827 م تم تعيين آخر قنصل وهو روبارت وليام سانت جون الذي غادر بعد احتلال الجزائر، للإشارة أن إنجلترا بقيت تدفع الإتاوات إلى غاية جويلية 1830 م ! ، كما ربطتها علاقات قوية مع الأمير عبد القادر .

- الرؤية الكولونيالية لفكرة الدولة ما قبل الاحتلال:

يقول عبد الله العروي في معرض حديثه عن الدولة العربية" ان الدولة العربية مبنية على أساس اجتماعي معين، تهدف بالضرورة الى المحافظة على توازن القبائل والعشائر والأسر ..." [58] ، إن هذا المبدأ عملت عليه السلطة السياسية العثمانية في مدينة الجزائر و عرفت كيف توازن بين القبائل و العشائر للاستمرار في عملية الحكم ،و عند انتقالنا الى قضية وجود الدولة يمكن أن نجد ان مقوماتها كانت موجودة خلال العهد العثماني سواء من أرض لها حدود أو شعب أو سلطة

سياسية أو علم و علاقات دبلوماسية و توقيع معاهدات ، كل هذا أعطى الشرعية القانونية للدولة و خولها أن تكون كجزء من المجتمع الدولي.

لقد سعت الإدارة الكولونيالية ممثلة في المستشرقين و الباحثين الموالين للمشروع الكولونيالي الى إيجاد أطر و نظريات تتماشى مع فكرة عدم وجود دولة قبل الغزو الفرنسي وهذا بهدف إعطاء الصبغة الشرعية للاحتلال أنه جاء لمقصد نشر رسالة حضارية إنسانية بين قبائل متناثرة في منطقة جغرافية لا حدود لها و لا سلطة تحكمها ، و يرتكز مبدأ الأيديولوجية الكولونيالية أن الأمة الجزائرية لم توجد تاريخيا ، فأوغست برنارد يؤكد على أن الجزائر لم تكن موجودة قبل مجيء الفرنسيين و تم انتزاعها من لا شيء و قد منحها الفرنسيون اسما و شخصية[59] !. ينطلق برنارد من الفكرة الأوروبية أن كل إقليم لا يتصف بالأشكال السياسية الأوربية فهو إقليم فارغ يجب إعماره، وبالتالي الاستعمار سينفي الجزء المستعمر. فالإيديولوجية الكولونيالية لا تقدم استعمار على أنه قطيعة مع التاريخ السياسي للمجتمع و لكنه بداية له، ذلك أن هذه الأيديولوجية تأخذ على المجموعة الاجتماعية السابقة للاستعمار عدم تشكيل مجموعة سياسية[60] .

البحوث التي جاءت بعد الاحتلال عملت في هذا الاتجاه ، وفي نفس الوقت يجب علينا أن نكون موضوعيين في بعض الجزئيات التي روجت لها الإدارة الاستعمارية مثل أن المجتمع كان قبليا لا تحكمه السلطة و أن العثمانيين من باشاوات و دايات عملوا على جمع الثروة مقابل تهميش الأهالي و الاستبداد بالحكم و المناصب فهذه تكاد من المسلمات التي يجب أن نسلم بها لأنه فعلا السلطة السياسية مارست حق حكم السكان المحليين في وجود أفراد أحسن حالا من ذوي المناصب الرفيعة في منظومة الحكم العثماني ، بدليل ظهور شاب له مقومات القيادة و بناء الدولة الوطنية الحديثة و هو الأمير عبد القادر، وهنا تعترضنا إشكالية هل تعتبر دولة الأمير عبد القادر وطنية حديثة اذ قارنها بالنظام العثماني الذي كان سائدا قبل الاحتلال ؟ فعلا فالكتابات ما بعد فترة الاستقلال حاولت تثبيت فكرة الدولة الوطنية بسبب نظام الحكم الاشتراكي الشيوعي آنذاك لهذا مجدت فكرة الدولة الوطنية التي أسسها الأمير عبد القادر و لم تلغي في نفس الوقت فكرة السلطة أو الدولة المخزنية[61] التي كان تحكم خلال الفترة العثمانية .

خاتمة :

من خلال هاته الورقة البحثية يمكننا أن نخلص لمجموعة من النتائج أهمها:

-لقد عرفت إيالة الجزائر كيف تمارس دبلوماسيتها في المتوسط وتحفظ مصالحها وفق مبادئ وخصائص تميزت بها.

-كانت العلاقات الجزائرية الإنجليزية في غالبها تتميز بالهدوء طبعته بعض الحملات الحربية كانت تنتهي في الغالب بمعاهدات صلح.

-شكل الأسر في المتوسط ظاهرة كبيرة، وتسببت مسألة الأسرى الانجليز في احداث توترات بين البلدين بلغت الى درجة الصدام.

-كانت معظم المعاهدات والاتفاقيات التي وقعت بين الجزائر وإنجلترا تخدم طرف واحدا مما دفع بالايالة إلى نقضها أحيانا لحماية مصلحتها في المتوسط

-لقد استطاع بلايفاير أن يتتبع سير العلاقات الإنجليزية الجزائرية معتمدا في الغالب على وثائق ارشيفية اعتمد عليها، ومع استعمال منطق كولونيالي يطعن في السلطة السياسية عندما يجد الفرصة.

-لقد شكلت حملة اللورد اكسموث النهاية الفعلية للإيالة ، وهذا يدعم أن إنجلترا كانت ضمن الحلف الذي أراد القضاء على قوة الايالة في المتوسط.

-ان العلاقات التي بنتها ايالة الجزائر مع إنجلترا لدليل قوي على وجود الدولة الجزائرية وان اختلف نظام وطبيعة حكمها عن دول أوربا آنذاك، فقد أثبتت مجموع الاتفاقيات والمعاهدات شخصية الجزائر المعنوية.

-لقد ساهمت الثورة الصناعية في أوربا في زيادة قوة الاساطيل البحرية في حين بقية البحرية الجزائرية متخلفة عن ركب التطوير و التحديث الأمر الذي انعكس عليها سلبا من جهة و أظهرت مدى ابتعاد السلطة السياسية عن واقع ما تعيشه أوربا من نهضة بشقيها العلمي الصناعي و الفكري، ولعل ما نعيشه اليوم من تخلف يقع جزء منه على السلطة العثمانية آنذاك .

-لازالت هناك مادة أرشيفية تاريخية (مذكرات ، اتفاقيات و معاهدات ، تقارير) عن العلاقات الجزائرية الإنجليزية ضمن أرشيف بريطانيا الوطني تحتاج الى إعادة قراءة الأمر الذي سيساهم في فهم عميق و واسع لتلك العلاقة ضمن مفهوم الدولة الإقليمية في المتوسط.

الهوامش :

*-لعل هولندا هي أول دولة وقعت اتفاقية سلم مع إيالة الجزائر وهذا في ظل غياب نص أو وثيقة أرشيفية تسقط هذا الاحتمال. كما يجدر الإشارة إلى انه سبق تعيين أول قنصل هولندي سنة1616م ويجنات دو كايسر Wijnant de Keyser. للمزيد حول هذا الموضوع أنظر:

Alexander. H de Groot. Ottoman NorthAfrica and the DutchRepublic in the seventeenth and eighteenth centuries. Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée . Volume 39 . Numéro 1 .1985 .p 135.

1- إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الأصول والنظريات، منشورات ذات السلاسل. الكويت ، 1985 م، ص391 .

2-لقد شكلت مملكة اسبانيا والإمبراطورية العثمانية ومملكة البرتغال و هولندا أهم القوى البحرية في المتوسط لكن بعد نهاية القرن 17 م ظهرت قوى أخرى تمثلت في مملكة بريطانيا العظمى و فرنسا و زاد تنافسها مع العثمانيين و ايالة الجزائر. أنظر : جون وولف ، الجزائر و اوربا ، ترجمة أبو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 ، طبعة خاصة ، ص 62.

3-تعتبر القرصنة ظاهرة عالمية ، ظهرت خلال القرون الوسطى على يد الفايكينغ وقد شهد القرن السابع عشر اوج قوتها حتى سمي بقرن القرصنة ، و نجد ان مفهومها هذبته الكتابات العربية فأطلقت عليه الجهاد البحري و قد عرفها الفقه أنها خروج مكلف ذو شوكة على معصوبين في البحر لأخذ مال أو اعتداء و ترويع لتحقيق غاية خاصة أما في القانون الدولي فقد عرفتها معاهدة جنيف 1958 أنها عمل غير مشروع من أعمال العنف ، أو حجز الأشخاص ، أو السلب يرتكب لأغراض خاصة بواسطة ملاحي ، أو ركاب سفينة ، أو طائرة خاصة .ومع ظهور العثمانيين في البحر كانوا يمارسون هذا النشاط باسم الدين و قد قلت حدتها مع بداية القرن 19 .للاطلاع أكثر أنظر : علي بن عبد الله الملحم ، القرصنة البحرية على السفن ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، جامعة نايف ، قسم العدالة الجنائية ، 1428 هـ 2008 م ، ص 34 . و علي صادق أبو هيف ، القانون الدولي العام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ط 1 ، ص 388.

4-كان تأسيس إيالة الجزائر بمثابة الكيان الإسلامي الذي سيقود مختلف عمليات القرصنة في المتوسط وسيجعل من القوى الكبرى تفكر في التقليل من قوة هذا الكيان او القضاء عليه. لما ترتب عليه من استنزاف في التجارة المتوسيطة لتلك الدول. انظر: بخدة الطاهر ، دور الأتراك في انبعاث و وحدة الدولة الجزائرية الحديثة ، مجلة عصور الجديدة ، جامعة وهران 1 ، الجزائر ، عدد11 و 12، 1434هـ-2013/1435-2014م ،ص196 .

5-للإطلاع على موضوع المعاهدات و الاتفاقيات بين ايالة الجزائر و الدول الاوربية أنظر: علي تابليت ، معاهدات الجزائر مع بلدان أوربا و الولايات المتحدة الأمريكية ، منشورات ثالة ، الجزائر ، 2014 م ، ج1 و ج2 .

6-كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر، ماجستير، جامعة معسكر، 2008/2007، ص 69 .

7- Fatima Maameri Ottoman Algeria in Western Diplomatic History with Particular Emphasis on Relations with the United States of America, 1776-1816 doctorat .UNIVERSITE, CONSTANTINE.2008.p 113 .

8- الداي حسين ، آخر دايات الجزائر، ولد في مدينة أزمير التركية حوالي عام 1773. كان أبوه ضابطا في سلاح المدفعية ولهذا كان ميالا إلى العمل العسكري. تلقى تكوينا خاصا وبعدها أرسل إلى القسطنطينية لمزاولة دراسته في مدرسة خاصة كجندي ، ولي الحكم في الجزائر بناء على وصية من الحاكم السابق عمر باشا قبل وفاته في فبراير عام 1818 ، كان طرفا في حادثة المروحة الشهير ، بعد احتلال فرنسا لمدينة الجزائر وقع وثيقة الإستسلام و اختار منفاه الى إيطاليا ثم إلى الإسكندرية و بها توفي سنة1838 م .

*صلح الحديبيةهو صلح عقد في شهر ذي القعدة من العام السادس للهجرة (مارس 628 م) بين المسلمين وبين قريش بمقتضاه عقدت هدنة بين الطرفين مدتها عشر سنوات، وقد كانت هاته الهدنة مقدمة لفتح مكة . أنظر: عبد الملك بن هشام، سيرة ابن هشام، دار الامام مالك ، الجزائر، 1432-2011م ،ط2 ،ج3 ،ص230.

9- R-L.PLAYFAIR .Episode de Histoire des relations de Grande-Bretagne avec les états barbaresques ، Revue africaine ، 22ANNEE.N132.NOVEMBRE1878 .P408

10-وليام سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب عبد القادر زبادية ، دار القصبة للنشر، الجزائر،2006 ، ص 162 .

11-جمال قنان، معادات الجزائر و فرنسا، منشورات وزارة المجاهدين ، 2009م ، ج1 ،ص 297 .

12-richard hakluyt the principal navigations voyages traffiques and discoveries of english.

13-للمزيد حول فحوى الاتفاقية أنظر: R-L.PLAYFAIR. Revue africaine.22anneè .n132.1878.p307

14-H-D.De Grammont. Un épisode diplomatique à Alger aux 17 siècles. Revue africaine ، 26ANNEè .VOULUME 22. 1882 .P131 .

15-كانت هذه معاهدة السلم الموقعة بتاريخ 24 سبتمبر 1689 م بين ايالة الجزائر وفرنسا، للاطلاع أكثر على نص المعاهدة وما جاء فيها أنظر: علي تابليت ، معاهدات الجزائر مع بلدان أوربا و الولايات المتحدة الأمريكية ، مرجع سابق ، ج1 ،ص 62 .

16H-D.De Grammont. Un épisode diplomatique à Alger aux 17 siècles. Revue africaine. P135-انظر:

17-R-L.PLAYFAIR .Episode de Histoire des relations de Grande-Bretagne avec les états barbaresques ، Revue africaine ، P408.

**الثورة الفرنسيةفترة مؤثرة من الاضطرابات الاجتماعية والسياسية في فرنسا عرفت عدة مراحل استمرت من 1789 حتى 1799، وكانت لها تأثيرات عميقة على أوربا والعالم الغربي عموما أسقطت الملكية وأسست الجمهورية وشهدت فترات عنيفة من الاضطراب السياسي. للمزيد انظر: ألبير سوبيل، تاريخ الثورة الفرنسية، ترجمة جورج كوسى ، منشورات بحر المتوسط ،بيروت باريس، 1989م، ط4، ص120 وما يليها .

18- جمال قنان، معاهدات الجزائر و فرنسا، مرجع سابق، ص 302 .

19- كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر، مرجع سابق، ص 72.

20- بتشجيع من أعلى هرم في السلطة وهي وزارة الحربية بالجزائر العاصمة، قام"أ. بربروجر" مع ثلة من الضباط السامين في الجيش الفرنسي وعدد من المستعربين الفرنسيين بتأسيس الجمعية التاريخية الجزائرية بعد مرور ستة عشرة عاماً على احتلال الجزائر. يقول بربروجر: «لقد أسهمت هذه الدوريات في إعطاء لمحات عن البحث العلمي في هذا البلد، غير أن النتائج المتوصل إليها لم تكن منظمة تنظيماً مُحكماً يؤسس لقواعد بحث علمي حقيقي وهو الأمر الذي دفعنا في الجمعية التاريخية الجزائرية إلى إنشاء "المجلة الإفريقية"، توقفت "المجلة الإفريقية" عن الصدور في الجزائر أو في الخارج بمجرد حصول الجزائر على استقلالهاسنة1962م . أنظر: A.Berbrugger, «Introduction du premier numéro», in Revue Africaine, n° 1, vol. 1, p. 5.

21- ادريس الناصر رأسي ، العلاقات العثمانية الأوربية في القرن السادس عشر ، دار الهادي للطباعة و النشر، بيروت لبنان، 1428-2008 م، ط1،ص 155و 160 .

22- شركة المشرق تأسست سنة 1681م بأمر من المكلة إليزابيث و كانت تدير التجارة بين العالم الإسلامي و إنجلترا ، و قد سبقتها شركة الهند الشرقية التي تأسست سنة 1600 م ، و التي كانت تدير تجارة التوابل مع جزر الهند الشرقية مع منافستها شركة الهند الشرقية الهولندية ، و قد تطورت حتى أصبحت قوة سياسية داخل البرلمان الإنجليزي مما سمح لها ببسط نفوذها في شرق آسيا و استعمالها القوة العسكرية للهيمنة . للمزيد أنظر: نك روبينز، الشركة التي غيرت العالم كيف بنت شركة الهند الشرقية المؤسسات عابر القارات ،ترجمة كمال المصري، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،مصر،1430- 2009 م، ط1 ، ص 10و ص38 .

**بالحديث عن أول قنصل انجليزي في الجزائر يجب التفريق بين وكيل الأعمال والقنصل، اذ طالما اعتبرت الجزائر في سياستها الخارجية أن الممثل الدبلوماسي للدولة يجب ان يكون خارج الأعمال التجارية وعلى هذا يعتبر جون تبتون johntiptonأول وكيل أو قنصل يمثل الشركة الشرقية في ايالة الجزائر1580م، وقد سعت إنجلترا لبناء علاقات تجارية مع الجزائر اذ لطالما اعتبرت الجزائر وتونس محطة توقف. أنظر:

Fisher . Sir geodfrey.legende Barbaresque :Gerre .commerce et piraterie de 1415 a 1830 .traduit par faridahellal .alger .opu.1991.p 175

23- R-L.PLAYFAIR .p1.

24-lebid.p306.

***يذكر صاحب كتاب حرب الثلاث مائة سنة بين الجزائر و اسبانيا توفيق المدني أن عدد الانجليز كان 1500 رجل و لا يذكر من أين أتى بهذا الرقم عكس بلايفاير الذي اعتمد على تقرير الحملة .للاطلاع اكثر انظر : توفيق المدني ، حرب الثلاث مائة سنة ، مطابع دار البعث ، قسنطينة ، ص 420

25- R-L.PLAYFAIR .p307.

26-op.cit .p307.

27 –كانت ظاهرة الأسر منتشرة بشكل كبير في البحر المتوسط وقد مارسها البحارة المسلمون و دول أوربا و هناك احصائيات كثيرة حول هاته الفئة سواء في شمال افريقيا أو دول جنوب أوربا ، وقد حركت هاته الظاهرة العديد من الحملات الحربية ضد ايالة الجزائر لاسترجاعهم . كان الأسير يمثلقيمة" تبادل" أماالعبدفقدكانيمثل قيمة" للاستعمال ." وإنأغلبالأسربكانيتمشرائهممنقبلملاكالسفنالمشتغلينفيالشرق. يذكرفونتناي أن الأسرى المسيحيين المتواجدين على سواحل المغرب الإسلامي،كانوا يتحصلون في النهاية على حريتهم .عكس ذلك فإن "العبيد السود "كانوا يموتون كعبيد في المزارع .انظر : قرباش بلقاسم ، الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات ، دكتوراه ، جامعة معسكر، 2016/2015، ص46 .

28- R-L.PLAYFAIR .op.cit .p310

29-جون ب وولف، الجزائر و أوربا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة ، طبعة خاصة، 2009م، ص 218 .

30-على حسب ما ذكره بلايفير أن هذه الاتفاقية موجودة ضمن وثائق و تقارير في المتحف البريطاني

31- R-L.PLAYFAIR .p312

32-lebid.p315

33-الى غاية 1647 كانت إيالة الجزائر قد عقدت ثلاث معاهدات ما بين سلم وصلح وامتياز مع فرنسا أما مع اسبانيا فلا توجد أي معاهدة او اتفاق خلال هاته الفترة الا بعد معاهدة 1786 م .

34- R-L.PLAYFAIR .op.cit.p316

35-بلقاسم قرباش، معاهدة الصلح و السلام بين بريطانيا العظمى و الجزائر 1682م من خلال وثيقة أصلية ، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر 2 ، عدد18 ، رجب1436هـ/ماي 2015 ، ص 173 .

36- R-L.PLAYFAIR .op.cit.p319

37-لقد منح الباشا لمبعوث الأميرال روبار بلاك منحة نية السلم تمثلت في قطيع من الحيوانات، وربما كان هذا تقاليد ذلك العصر . أنظر: عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1541 -1830 ، دار هومه للنشر ، الجزائر ، 2011م،ط 3 ،ص 126

38- R-L.PLAYFAIR .op.cit.p317

39- lebid.p401

40- علي تابليت ، معاهدات الجزائر ، مرجع سابق ، ج1 ،ص 147.

41- R-L.PLAYFAIR .op.cit.p402

42- علي تابليت ، معاهدات الجزائر ، مرجع سابق ، ج1 ،ص149.

43- R-L.PLAYFAIR .op.cit.p402

44- كان اقتحام ميناء بجاية من طرف سبراق ضربة قوية للبحرية الجزائرية اذ استطاع هذا الأميرال ان يقطع السلسة التي تسمح بالدخول للميناء و احراق و غنم جميع السفن ، الأمر الذي أدى بالجزائريين للثورة و تعيين أول داي و دخول مرحلة الدايات ، لكن بالرجوع الى ما رواه جوليان كوربات نجد الأخير يضع تاريخ دخول الانجليز لبجاية هو سنة 1671 م ، إضافة الى دفع الانجليز الجزائريين لتوقيع معاهدة سلم سنة 1671 م . للاطلاع اكثر انظر :

Jullian S. Corbett, England in The Mediterranean, 2Vol (Vol 2), 2nd Ed, London: Longmans, Greend and Co 1916, p. 359.

45- R-L.PLAYFAIR .op.cit.404

46- عليتابليت ، معاهدات الجزائر ، مرجع سابق ، ج1 ،ص156.

47-المرجع نفسه، ص 161 .

48- لقد توترت العلاقات بين إنجلترا و المغرب نتيجة أزمة الأسرى اذ كان السلطان المغربي يطلب فدية كبيرة لتحرير الأسرى الأمر الذي رفضه القنصل لاتون وقد دفع بالسلطان المغربي لسجنه مع

الأسرى وقد أحدث ذلك أزمة دبلوماسية بين البلدين . للإطلاع أكثر على الموضوع أنظر: ب.جروجرز ، تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية الى غاية 1900 م ،ترجمة يونان لبيب رزق، دار الثقافة ، المغرب، 1401ه/1981م ، ط 1 ،ص 135و136و137.

49- R-L.PLAYFAIR .op.cit.p408 .

50- op.cit.p430 .

51- R-L.PLAYFAIR .op.cit.p431 .

52- علي تابليت ، معاهدات الجزائر ، مرجع سابق ، ج1 ،ص 168.

53-المرجع نفسه ، ص 170و 171 و 172 .

54-وصل اللورد اكسموث للجزائر في افريل 1816 م اين ابلغ الجزائر و تونس و طرابلس عن فحوى مؤتمر فيينا القاضي بإلغاء العبودية في المتوسط ، وقد نتج عن هذا توقيع معاهدة بتاريخ 3 افريل ، لكن السلطة لم تحترم تلك الاتفاقية فقد تم مهاجمة مجموعة من صيادي المرجان و قتلهم بعنابة كما تم احتجاز القنصل البريطاني ، مما اضطر اللورد اكسموث لشن حملة بالتحالف مع الهولنديين و قد وصل الى ميناء الجزائر في سبتمبر 1816م ، بعد تبادل الرسائل بين اكسموث و الداي قرر اكسموث قصف المدينة حيث خلف القصف المتواصل اكثر من 7000 الاف بين قتيل و جريح و تدمير كلي للسفن الجزائرية و بذلك كانت نهاية الايالة عمليا في هذا التاريخ . للاطلاع اكثر على الموضوع أنظر: أحمد جعفري، الحملة الإنجليزية الهولندية على مدينة الجزائر من خلال مخطوط رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان التنلاني(ت 1233ه)، مجلة التراث ، هيئة أبو ظبي للثقافة والإعلام، العين ، الإمارات العربية، عدد 139، أفريل 2011م، ص54 .و

Abraham Salamé, Narrative of the Expedition to Algiers in the Year 1810, Under the Command of the Right Box Admiral Lord Viscount Exmouth, London: John Murhay, Albemarle-Street, 1819 .

55-chabaud-Arnault، attaque des batteries algériennes par lord exmouth en 1816, Revue africaine ، 19ANNEE.N111.mai 1875 .P194.

56- R-L.PLAYFAIR .op.cit.p

57-مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية، شركة دار الأمة، الجزائر، 2007م، ط2، ج1، ص 196.

58-عبد الله العروي، مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2011م، ط9، ص127.

59-Auguste Bernard, L'histoire de l'Algérie, tome 2eme de l'histoire des colonies. Plon, 1930, p 66.

60-محمد يوب ، القبيلة و الدولة في الجزائر، دكتوراه ، جامعة تلمسان ، 2007-2008م ،ص 90 .

61-الدولة المخزنية ، يعتبر الجيش فيها هو صاحب القرار السياسي او كما عبر عليها ماكس فيبر تتخذ الدولة شكل ملكية عسكرية ، كما تعتبر القبيلة القوة الخلفية لها، و تعتمد في اقتصادها على الضرائب التي تدفعها القبائل .